مجلة إشكالات في اللغة والأدب مجلد: 10عدد: 3 السنة:2021
ص: 244 - 262 E ISSN: 2600-6634 / ISSN:2335-1586

حجاجية المفردة في القرآن الكريم – دراسة تطبيقيّة في نماذج مختارة –

Argumentation of The word in the Holy Quran "An Applied Study in Selected Models"

[*] ط/د: دنيا زدادرة

Zedadra Donia

مخبر الدّراسات اللّغويّة والأدبيّة/ جامعة 8 ماي 1945 قالمة –الجزائر.

University of 8May 1945 Guelma– Algeria.

Zedadra.dounya@univ-guelma.dz

تاريخ الإرسال:2020/11/05	تاريخ القبول:2021/06/03	تاريخ النشر : 2021/09/02

مُلخّص البحث

يهدف هذا المقال إلى دراسة المفردة القرآنيّة من منظور النّظرية الحجاجيّة الحديثة، وتكمن أهمية هذه الدّراسة في محاولة الكشف عن الدّور الكبير الذي تؤديه المفردة القرآنيّة في عملية الإقناع والتّأثير، وذلك لما تتوفر عليه من شحنات حجاجيّة ثاوية في نفسها، أو مكتسبة من خلال تعالقها مع غيرها في سياق معيّن. ولذلك سنعمد في هذا المقال إلى دراسة البعد الإقناعي والتّوجيهي لبعض المفردات القرآنية، وذلك من خلال اختيار القرآن الكريم لمفردة دون أخرى، أو عُدوله عن مفردة إلى مفردة أخرى. من هنا أمكننا طرح التّساؤلات الآتية: ما الحجاج؟ وماالمقصود بالمفردة؟ وما مدى قدرتها على إقناع المتلقي والتّأثير فيه؟.

الكلمات المفتاحيّة :الحجَاجُ، المفردة، القرآن الكريم، الإقناع، التّأثير.

Abstract : This article aims to study the Qur'anic vocabulary from the perspective of modern argumentative theory. The importance of this study lies in an attempt to reveal the great role that the Qur'anic vocabulary plays in the process of persuasion and influence, due to the argumentative loads it has in itself, or acquired through its relationship with others in a specific context. Therefore, in this article, we will study the persuasive and guiding dimension of some Qur'anic vocabulary, the choice of Holy Qur'an for one word over the other, or changing it from one word to another. From here we were able to ask the following questions: What is argumentation? What is meant by vocabulary? What is the extent of its ability to persuade and influence the recipient?

Keywords: Argumentation, Vocabulary, Holy Quran, Persuasion, Influence

[*] دنيا زدادرة، Zedadra.dounya@univ-guelma.dz

مقدمة:

شغلت المفردة القرآنية حيّزا كبيرا من اهتمام العلماء والدّارسين، فأقبلوا على دراستها، مبرزين تميّزها وارتقاءها، وقد ذهب بهم الأمر إلى وضع معايير تحدّد جمال المفردة وفصاحتها، كأن تكون معتدلة، متباعدة المخارج، وأن لا تكون غريبة وحشيّة، أو سوقيّة مبتذلة...

إلاّ أنّ هذه المعايير التي وضعت تبقى معايير نسبيّة وغير ثابتة، على أساس أنّ المفردة تقاس بموضعها وسياقها، وكذا بتعالقها مع غيرها في سياق معيّن، إذ بهذا تكتسب المفردة دلالتها الوظيفيّة، وكذا قدرتها التأثيريّة والإقناعيّة.

وقد كان القرآن الكريم دقيقا في انتقاء ألفاظه، حريصا على وضع كلّ مفردة في مكانها المناسب لها، مراعيا في الوقت نفسه ما بين هذه المفردات من فروق دقيقة، وذلك من أجل أن تؤدي الغرض المقصود، الشّيء الذي أكسب مفرداته طاقة حجاجيّة عالية جعلته أكثر إقناعا وتأثيرا.

من أجل ذلك جاءت هذه الدّراسة، التي نهدف من خلالها إلى الكشف عن الجانب الحجاجي والتّأثيري للمفردة القرآنيّة. وقد فرضت طبيعة الموضوع صياغة الإشكاليّة الآتية: إلى أيّ حد يمكن أن تسهم المفردة القرآنيّة في ممارسة تأثيرها على المتلقي، وحمله على الإقتناع بما يعرض عليه من أفكار؟ وما الرّوافد الدّاخليّة والخارجيّة التي عزّزت طاقتها التأثيريّة؟.

وقد استفدنا في بحثنا هذا من مجموعة من الدّراسات السّابقة، نذكر منها: "جماليّة المفردة القرآنيّة" لمؤلفه: أحمد ياسوف، و"صفاء الكلمة" لعبد الفتاح لاشين، و"الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبيّة" لعبد الله صولة، هذا الأخير الذي خصّص الباب الأول من كتابه المذكور آنفا لدراسة خصائص الكلمات القرآنية وحركتها الحجاجية.

أمّا المنهج المتّبع للدّراسة فهو المنهج الوصفي التّحليلي؛ لأنّ طبيعة البحث تقتضي ذلك.

وقد جاء البحث وفق خطة منهجيّة تقوم على العناصر الآتية:

- مقدّمة.
- أوّلا:مفاهيم أوّليّة.
- ثانيا: حجاجية المفردة القرآنية على أساس الاختيار.
- ثالثا: حجاجيّة المفردة القرآنية على أساس العدول.

ـ خاتمة

أوّلا: مفاهيم أوّليّة:

1.مفهوم الحجاج:

أ. وضعا:

جاء في معجم التّعريفات مايأتي:«الحُجّة: مادلّ به على صحّة الدّعوى، وقيل الحُجّة والدّليل واحد» [1].

ويتوسّع ابن منظور في تعريفه "للحجاج" حيث يجعل له أكثر من معنى يقول:

«حاجته أُحَاجه حجاجا ومُحاجَّةً حتى حججته أي؛ غلبته بالحجج التي أدليت بها.

والحجّة: البرهان، وقيل: الحجّة ما دوفع به الخصم.

والتّحاج: التّخاصم؛ وجمع الحجّة: حُجَجٌ وحجَاجٌ.

وحاجَّهُ مُحاجّةً وحجاجًا: نازعه الحجّة» [2].

وهكذا، فالحجاج في اللّغة يحمل معنى المنازعة، والمخاصمة، والمغالبة، وذلك باستعمال مختلف الأدلة والبراهين.

وقد أضاف ابن منظور إلى هذه المعاني معنى آخر للحجاج وهو "الجدل"، يظهر ذلك من خلال قوله: « وهو رجل مِحْجَاجٌ أي جدل» [3].

ب.اصطلاحا:

اختلفت تعريفات الحجاج وتعدّدت باختلاف تخصّصات الباحثين ومجالات تفكيرهم، الشّيء الذي جعل من الحجاج مفهوما شائكا وملتبسا بحيث يتعذّر على الباحث ضبطه، أو وضع تعريف جامع مانع له، ومن أهم التّعريفات التي وضعت لهذا المفهوم ما يأتي:

يعرّف "طه عبد الرّحمان" الحجاج بقوله: «الحجاج فعاليّة تداوليّة جدليّة، فهو تداولي لأنّ طابعه الفكري مقاميّ اجتماعيّ، إذ يأخذ بعين الاعتبار مقتضيات الحال من معارف مشتركة ومطالب إخباريّة، وتوجّهات ظرفيّة، وهو أيضا جدلي لأنّ هدفه إقناعي» [4].

ممّا يعني أنّ الحجاج عند "طه عبد الرّحمان" يرتكز على شيئين أساسيين هما: الطّابع التّداولي ، وذلك لاهتمامه بالمقام ومقتضيات الحال، وكذا الطّابع الجدلي؛ لأنّ هدفه الأساس هو تحقيق الإقناع.

وقد جعل الباحث من الحجاج صفة ملازمة للخطاب ولتكوثره، حيث يرى بأنّ الأصل في تكوثر الخطاب هو صفته الحجاجيّة، بناء على أنّه لا خطاب بغير حجاج[5].

أماأوزفالدديكرو(**o.ducrot**)فيعرّف الحجاج بقوله: «الحجاج يكون بتقديم المتكلّم قولا "ق1" (أو مجموعة أقوال)، يفضي إلى التّسليم بقول آخر "ق2" (أو مجموعة أقوال أخرى)»[6].

ممّا يعني أنّ القول "ق1" يكون بمثابة الحجّة التي تقود بالضّرورة إلى القول "ق2" الذي يمثّل النّتيجة.

وهكذا، فالخطاب الحجاجي بالنّسبة لديكرو يؤسّس على مجموعة من الأقوال بعضها يكون بمثابة الحجج، وبعضها الآخر يكون بمثابة النّتائج، والرّابط الذي يربط بين الحجة والنّتيجة يسمّى الرّابط الحجاجيّ، ونشير في هذا المقام إلى أن «الحجّة قد تكون ظاهرة أو مضمرة بحسب السّياق، ونفس الشّيء بالنّسبة للنّتيجة والرّابط الحجاجي الذي يربط بينهما»[7].

أمّا "شايمبيرلمان" (chaimperelman) وزميلته "تيتيكا" (tyteca) فيعرّفان الحجاج من خلال كتابهما "مصنّف في الحجاج، (البلاغة الجديدة)" بأنّه: « درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التّسليم بما يعرض عليها من أطروحات، أو الزّيادة في درجة ذلك التّسليم»[8].

ويحدّد الباحثان الغاية من الحجاج بقولهما: « غاية كلّ حجاج أن يجعل العقول تذعن لما يطرح عليها من آراء، أو أن تزيد في درجة ذلك الإذعان، فأنجع الحجاج ما وفّق في جعل حدّة الإذعان تقوى درجتها لدى السّامعين بشكل يبعثهم على العمل المطلوب (إنجازه أو الإمساك عنه)، أو هو ما وفّق على الأقل في جعل السّامعين مهيئين للقيام بذلك العمل في اللّحظة المناسبة»[9].

والمقصود بالإذعان هو خضوع المتلقي المطلق لحجج الخصم، من دون أن يراوده أدنى شكّ أو شبهة، الشّيء الذي يجعله (المتلقي) يبادر إلى الفعل أو التّرك[10].

نخلص ممّا تقدّم إلى أنّ بيرلمان قد ركّز في تعريفيه السّابقين على مفاهيم أساسيّة: كالتّسليم، والإذعان، والزّيادة في درجة الإذعان، الشّيء الذي يؤكّد أنّ نجاعة الحجاج وفاعليته لم تعد تقتصر على تحقيق الإقناع فحسب، وإنّما تتجاوزه وتتعداه إلى تحقيق الإقتناع.

وقد جعل بيرلمان الباعث أو المحرّك الأول للحجاج هو الاختلاف، ذلك أنّ الحجاج حسب رأيه لايكون فيما هو يقيني أو إلزامي، وإنّما فيما هو مرجح وممكن ومحتمل[11].«لذلك تبقى الحجج المخاطبة للعقل فيه هشّة وغير كافية لتبني رأي أو الدّفع إلى فعل، فهي تبقى مفتقرة إلى دعم وتقوية، وتحتاج إلى أن

تتم استمالة الجانب الثاني من النّفس الإنسانيّة. هنا تتدخل وسائل الإقناع العاطفيّة أو الذّاتية التي تتضافر مع الحجج العقليّة لصنع الإرادة؛ إرادة تبنّي رأي أو إرادة القيام بفعل»[12].

وهكذا،نخلص إلى أنّ الحجاج بصفة عامّة يهتم بدراسة مختلف الوسائل والتّقنيات التي يستعملها المتكلّم من أجل إقناع المتلقي بفكرة معيّنة، يحقّ لهذا الأخير قبولها، أو الاعتراض عليها، أو مناقشته فيها، ممّا يعني أنّ الهدف الأوّل والأخير للحجاج هو تحقيق الإقتناع، وذلك باستخدام مختلف الوسائل والآليات، شريطة أن لا يكون ذلك مصحوبا بإكراه أو عنف.

ثانيا: مفهوم المفردة:

1. وضعا:

جاء في معجم "لسان العرب" ما يأتي:

"فرد: الله تعالى وتقدّس هو الفرد، وقد تفرّد بالأمر دون خلقه. والفرد: الوتر، والجمع أفراد وفرادى. والفرد أيضا: الذي لا نظير له، والجمع أفراد.

المِفْرد: ثور الوحش، شبّه به النّاقة. وثور فُرْدٌ، وفاردٌ، وفَرْدٌ، وفريد، كلّه بمعنى مُنفرد.

وظبيةٌ فاردٌ: منفردة انقطعت عن القطيع.

ويقال: استفردت الشّيء إذا أخذته فردًا لا ثاني له ولا مثْل»[13].

2. اصطلاحا:

سلك العلماء في تعريفهم للمفردة مسالك شتّى، وأوردوا لها تعريفات عديدة، نذكر من بينها ما يأتي:

يعرّف السّكاكي المفردة بقوله: «هي اللّفظة الموضوعة للمعنى مُفردةً، والمراد بالإفراد أنّها بمجموعها وضعت لذلك المعنى دفعة واحدة. ثمّ إذا كان معناها مستقلاّ بنفسه وغير مقترن بأحد الأزمنة الثّلاثة مثل: علْمٌ، جهْلٌ، سميّت اسما، وإذا اقترنت مثل: عَلِمَ، وجَهلَ سميّت فعْلاً، وإذا كان معناها لا يستقلّ بنفسه مثل: منْ، وعَنْ، سميّت حرفًا»[14].

وواضح من تعريف السّكاكي أنّه ركّز فقط على صفة الإفراد للكلمة، وكذا على تقسيمها الثّلاثي، كأن تكون اسما، أو فعلا، أو حرفا.

أمّا أحمد ياسوف فيعرّفها على أساس علاقتها بالجملة ومكانها في النّظم حيث يقول: «إنّ المفردة هي المجموعة الصّوتيّة التي تدلّ على معنى، وهذه المجموعة هي وحدة كلاميّة تقوم مقام الجزء من الكلّ في الجملة، وهي الجزء الأوّل في بناء النّظم، والوحدة المكوّنة له، فلا يغني أحدهما عن الآخر»[15].

نفهم من هذا التّعريف أن المفردة هي الأساس الذي يبنى عليه النّظم، وأنّ دلالتها تتحدّد من خلال ورودها داخل ذلك النّظم، لذلك فهما مكملان لبعضهما.

ويحاول تمّام حسّان أن يعرّفها تعريفا وظيفيّا دقيقا فيقول: «الكلمة العربيّة صيغة ذات وظيفة لغويّة معيّنة في تركيب الجملة، تقوم بدور وحدة من وحدات المعجم، وتصلح لأن تعرّف، أو تُحذف، أو تُحشى، أو يغيّر موضعها، أو يستبدل بها غيرها في السّياق، وترجع في مادتها غالبا إلى أصول ثلاثة، وقد يلحق بها زوائد»[16].

أمّا عبد الله صولة فيعرّف المفردة تعريفا حجاجيّا وذلك بقوله: « إنّها الوحدة المعجميّة – الصّرفيّة– الإعرابيّة معا، القابلة لأن تكتسب بالإضافة إلى معناها المعجمي سمات دلاليّة إضافيّة من خلال علاقتها بالمقال الذي ترد فيه، وهي قادرة في الوقت نفسه علىالتّأثير في ذلك المقال والمقام، بفضل مالها من قيم دلاليّة مختلفة، بعضها مستمدّ من اللّغة نفسها، وبعضها متأت من الاستعمال والتّداول»[17].

وحسب كلام صولة فالمفردة تستطيع أن تكتسب إضافة إلى معناها المعجمي دلالات حجاجيّة تستمدّها من المقام أو السّياق الذي توضع فيه، بالإضافة إلى أنّها تستطيع التّأثير في ذلك المقام بفضل ما تمتلكه من خصائص في ذاتها تستمدّها من اللّغة نفسها. ممّا يعني أنّ «الكلمة تتجاوز كونها مجرّد وحدة معجميّة مجرّدة ومفردة، لتكون وحدة معجميّة صرفيّة وإعرابيّة، لها خصائص اقتضائيّة وتقويميّة وتداوليّة، تسمح لها بأن تؤدي وظيفة حجاجيّة في الخطاب».[18]

وهكذا، يتّضح أنّ للمفردة دورا كبيرا في عمليّة الإقناع والتّأثير، وذلك إذا ما وظّفت توظيفا بلاغيّا يراعي فيه المتكلم حسن مطابقة الكلام لمقتضى الحال، فبلاغة المفردة وإيحاؤها يكمن في ملاءمة معناها لما يليها وما يسبقها من ألفاظ، «ما يعني أهمية اختيار لفظ دون لفظ آخر لهذا المعنى، والدّقة في استعماله الوظيفي السّياقي»[19]، يقول الجرجاني في هذا المقام: «واعلم أن ليست المزيّة بواجبة لها في أنفسها ومن حيث هي على الإطلاق، ولكن تعرض بسبب من المعاني والأغراض التي يوضع لها الكلام، ثمّ بحسب موقع بعضها من بعض، واستعمال بعضها مع بعض»[20]، ممّا يعني أنّ قيمة المفردة تتحدّد من خلال تعالقها مع غيرها من الألفاظ في سياق معيّن، لأداء غرض ما، «وهذا لا يعني أنّنا ننكر جمالية الكلمة وبلاغتها في اللّفظ المفرد، ولكنّنا نقوي من ذلك في طريقة التّخير اللّفظي لموضوعه ومقامه، وذلك وفق القاعدة البلاغيّة (لكلّ مقام مقال)»[21].

والمتمعن في ألفاظ القرآن الكريم يجد أنّه قد تمّ توظيفها توظيفا حجاجيّا على أساس الاختيار تارة، والعدول تارة أخرى، وذلك تبعا لما يمليه السّياق أو المقام.

ثالثا: حجاجيّة المفردة القرآنيّة على أساس الاختيار:

مما لاشكّ فيه أنّ اختيار الألفاظ يعدّ ذا قيمة حجاجيّة كبيرة، بحيث يبدو القول بالتّرادف في اللّغة قولا لا يخلو من شطط[22].

والمقصود بالاختيار هو تخيّر وانتقاء مفردة دون غيرها من المفردات التي قد تبدو مرادفة لها، وذلك وفق ما يقتضيه السّياق أو المقام. والاختيار أو «الانتقاء قانون حجاجيّ عام يعني الاختيار الدّقيق والواعي لدقائق الخطاب قبل قضاياه الكبرى»[23]،ومن ثمّ جاز لنا القول: «إنّ الاختيار يقع بين تلك البدائل أو الأشباه والنّظائر المتعدّدة، والتي تشترك فيما بينها في التّعبير عن معنى واحد بطريقة متقاربة»[24]إلاّ أنّ السّياق هو الذي يحدّد ويفصل وظيفة كلّ واحدة .

وحتّى ندرك جيّدا طبيعة الاختيار، وجب علينا أن ندرك أوّلا أنّ هناك مستويين أساسيين متمايزين للكلام:

الأوّل: هو ما كان موافقا للصّواب، موسوما بالصّحة اللّغويّة، وهو أدنى مراتب الكلام والبلاغة.

أمّا الثّاني: فهو ما امتاز بالصّحة اللّغويّة وزاد عليها بحسن تخيّر اللّفظ توخيا للمطابقة[25].

وهكذا أمكننا القول: «إنّ الاختيار في حقيقته إنّما هو عدول عن المستوى النّمطي أو العادي من اللّغة إلى المستوىالفنّي من الكلام، وقد يمثّل تخيّر اللّفظ نوعا من العدول عن النّظام اللّغوي، أو عن الاستخدام الشّائع، أو عدولا داخليا، وهو ما يسميه ريفاتير بالعدول السّياقي»[26].

والاختيار نوعان: «أحدهما يكون عن قصد وتدبر، والآخر غالبا ما ينساق في زحمة الكلمات أو المشاعر، أو الشّحنة الانفعاليّة الغالبة على المبدع، أو بتأثير الإيقاع المتسلّط عليه في كثير من الأحيان»[27].

وتجدر الإشارة إلى أنّ تخيّر اللّفظ في القرآن الكريم لم يكن مجرّد تخيّر، وإنّما هو تخيّر مقصود، تتحكّم فيه عوامل مقاميّة ووظيفيّة مختلفة.

والمتمعّن في القرآن الكريم يجد أنّه كان دقيقا في اختيار ألفاظه، حريصا على وضعها في مكانها المناسب، وذلك من أجل أن تؤدي الدّلالة المقصودة، وفي هذا السّياق يقول الباقلاني معلّقا على قوله تعالى: ﴿وَهَمَّتْ كلُّ أُمَة برَسُولهمْ ليَأْخُذُوهُ﴾. (سورة غافر، الآية:05). «وهل تقع في الحسّ موضع قوله

"ليأخذوه" كلمة؟ وهل يسدّ مسدّه في الأصالة نكتة؟ لو وضع موضعه "ليقتلوه"، أو "لينفوه"، أو "ليرجموه"، أو "ليطردوه"، أو "ليهلكوه"، أو "ليذلوه"»[28].

وهكذا، فعلى الرّغم من أنّ كلّ هذه المفردات التي ذكرها الباقلاني في نصّه قد تبدو مرادفة للمفردة المختارة "ليأخذوه"، إلاّ أنّه لا يمكن أن تحلّ ولا واحدة محلّها.

لذلك نجد أنّ القرآن الكريم يحثّ في غير ما آية من آياته على ضرورة الدّقة في التّعبير؛ «حتّى لا يصحّ أن يقع لفظ مكان لفظ، فتظلّ المعاني بين الاحتمالات، وتتوه الأغراض والمقاصد في ظلال الشّكّ والتّمويه»[29]. من ذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الذينَ آمَنُوا لاَ تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾. (سورة البقرة، الآية: 104)، وقوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾. (سورة الحجرات، الآية: 14).

وتجدر الإشارة إلى أنّ «الخطاب القرآني إذ يعمد إلى اختيار كلمة دون أخرى مما يرادفها أو يظنّ أنّه يرادفها إنّما يرمي إلى مزيد من التأثير في ذهن المتلقين، على أساس أنّ الكلمة المختارة أعلق بعالم خطابهم، وأمضى أثرا فيه، لما لها من زوائد معنوية جاءت من اللّغة، أو الاستعمال، أو منهما معا»[30].

وهكذا، فاختيار كلمات معيّنة في الخطاب يكون لغرض حجاجيّ بدرجة أولى، يهدف من خلاله المخاطب إلى إقناع المتلقي بما يعرض عليه من أفكار أو زيادة في درجة ذلك الإقناع، ممّا يعني أنّ «نجاعة الحجاج تعني في المطلق حسن "الانتقاء" وسلامة "الاختيار": اختيار كلّ العناصر المكوّنة للخطاب»[31].

ومن المفردات التي وظّفها القرآن الكريم توظيفا حجاجيّا على أساس الاختيار نذكر:

1. إختيار مفردة الأكمه:

قال تعالى: ﴿وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللهِ وَأُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (سورة آل عمران، الآية: 49).

تتوفر هذه الآية القرآنية على طاقة حجاجيّة عالية، حيث أراد الله سبحانه وتعالى من خلالها أن يؤكّد ويثبت لبني إسرائيل صدق دعوة عيسى (عليه الصلاة والسّلام)، وذلك من خلال إفحامهم بهذه المعجزات الرّبانيّة كإحياء الموتى،وإبراء الأكمه والأبرص،...وهي معجزات لا يتسنى لأيّ مخلوق أن يفعلها مهما بلغت درجة علمه.

وقد اختار الله سبحانه وتعالى هذه المعجزات دون غيرها؛ لأنّ عيسى عليه الصّلاة والسّلام «بعث في زمن الأطباء وأصحاب علم الطّبيعة، فجاءهم من الآيات بما لا سبيل لأحد إليه إلاّ أن يكون مؤيّدا من الذي شرّع الشريعة، فمن أين للطبيب قدرة على إحياء الجماد، أو على مداواة الأكمه والأبرص، وبعث من هو في قبره رهين إلى يوم التّناد»[32].

إلاّ أنّنا سنركّز في هذه الآية على اختيار القرآن الكريم للفظ "الأكمه" دون غيره من المفردات التي قد تبدو مرادفة له كلفظ "الأعمى" مثلا.

وإذا بحثنا عن السّبب لوجدنا أنّه جاء لخدمة غرض حجاجي بالدّرجة الأولى، مفاده حمل بني إسرائيل على الإقتناع بنبوة عيسى (عليه الصّلاة والسّلام).

ففي قوله تعالى ﴿أُبرِئُ الأَكْمهَ﴾ تأويلات عديدة حيث قيل: «هو الذي يبصر نهارا ولا يبصر ليلا. وقيل: العكس. وقيل: الأعشى. وقيل: الأعمش. وقيل: هو الذي يولد أعمى وهو أشبه؛ لأنّه أبلغ في المعجزة، وأقوى في التّحدي»[33].

فالأكمه إذن، يعني الإنسان الذي يولد أعمى، ولو جاء التّعبير القرآني بلفظ آخر كلفظ "الأعمى" مثلا، لما حقّق من الإقناع والتّأثير ما حقّقه لفظ "الأكمه"، على أساس أنّ الأعمى يمكن معالجته، خصوصا إذا كان التّحدي موجّها إلى من هم أهل علم وطب، على خلاف "الأكمه" الذي حالته ميؤوس منها، ولا يستطيع أبرع الأطباء معالجته؛ لأنّه كذلك من الولادة.

وهكذا، فاختيار القرآن الكريم للفظ "الأكمه" في هذا المقام، كان هو الأنسب لتحقيق الغاية المطلوبة، وما زاد في تقوية وتعزيز هذا اللّفظ هو أنّه جاء ضمن سلسلة من الأقوال الحجاجيّة الهادفة إلى تعجيز المشركين من بني إسرائيل، وإقناعهم بصدق نبوة عيسى (عليه الصلاة والسّلام).

2. اختيار مفردة يُذبّحون:

قالى تعالى: ﴿وإِذْ نجَّيناكمْ منْ آل فرعونَ يُذَبِّحُونَ أبناءكمْ ويَسْتحيونَ نسَاءَكُمْ وَفي ذَلكَ بَلاَءٌ منْ رَبّكمْ عَظيمٌ﴾. (سورة البقرة، الآية 49).

«في هذه الآية إشارة إلى نعمة كبيرة أخرى منّ بها الله سبحانه على بني إسرائيل، وهي نعمة تحريرهم من براثن الظالمين»[34].

وتكمن بؤرة الحجاج في هذه الآية في استخدام القرآن الكريم مفردة "يُذبّحون"، هذه المفردة التي تحمل من الشّحنات الحجاجيّة ما لا تحمله أيّ مفردة أخرى تبدو مرادفة لها، فالله سبحانه وتعالى أراد من خلال

هذه الآية أن يصوّر شدّ ظلم آل فرعون وجبروتهم ، ولذلك نجده استعمل الفعل "يذبحون" «بصيغة المضارع ليشير إلى استمرار العذاب، وإلى أنّ بني اسرائيل كانوا دوما تحت التّعذيب من قبل الفراعنة»[35]، واحتاج السّياق إلى أن يكون الفعل «بصيغة المبالغة لأنّها تتوافر على معاني المداومة وشدّة الملازمة»[36]، بالإضافة إلى «معنى التّكثير والزّيادة الذي تفيده الصّيغة، والذي وظّف حجاجيّا في السّياق»[37]،كما أنّه اختار هذا الفعل دون غيره «ليصوّر به ما حدث، وضعّف عينه للدّلالة على كثرة ما حدث من القتل في أبناء إسرائيل يومئذ، ولا تجد ذلك مستفادا إذا وضعنا مكانها كلمة يقتلون»[38].

وهكذا، فقد استطاعت هذه المفردة بما تحمله من معان وإيحاءات أن ترسم في ذهن المتلقي صورة حيّة لجبروت آل فرعون وظلمهم، ولو تأملنا في هذه الكلمة جيّدا لوجدنا أنّها «وضعت في موضعها المقسوم لها، لتجعل المعقول مصوّرا تكاد العين تراه، والأيدي تلمسه»[39] الشّيء الذي أسهم في تحقيق مزيد من الإقناع والتّأثير في نفوس المتلقين.

3. اختيار مفردة "ضيزى":

قال تعالى: ﴿ أَلَكُمُ الذَّكَرَ وَلَهُ الأُنثَى، تِلْكَ إِذَنْ قِسْمَةٌ ضِيزَى﴾. (سورة النّجم، الآية21– 22).

يتطرّق الله سبحانه وتعالى في هتين الآيتين إلى أفكار المشركين فينقضها، ويستهزئ بها، ويبيّن غرابتها في الوقت نفسه، «وكم هو طريف أن يبطل القرآن جميع تلك الخرافات بعدّة جمل قصيرة وموجزة، ويفضحها ساخرا منها»[40].

إلاّ أنّ ما يهمّنا في هذا المقام هو اختيار القرآن الكريم لمفردة "ضيزى"، هذه الكلمة التي تعدّ من «أغرب الكلمات الغريبة في القرآن، لكنّها دقيقة دقة عجيبة في السّياق الذي وردت فيه»[41]. فما المقصود بهذه المفردة؟ وأين تكمن طاقتها الحجاجيّة؟.

وردت هذه المفردة مرّة واحدة في القرآن الكريم، والمقصود بها «جورا، باطلة»[42]، وقد علّل ابن الأثير سبب اختيار القرآن الكريم لهذه المفردة «تعليلا بيانيا، لاحظ فيه مراعاة فواصل الآيات؛ لأنّ فواصل الآيات بالألف المقصورة، فالفواصل قبلها العزّى، الأخرى، الأنثى... والفواصل بعدها: الهدى، تمنّى، الأولى... فجيء بكلمة "ضيزى" مراعاةً لهذه الفواصل. ولو جاءت الآية بالكلمة الأخرى:{تلك إذن قسمة ظالمة} لاختلّ الإيقاع، وتأثّر نظام الفواصل»[43].

وواضح من تعليل ابن الأثير أنّه ركّز على الانسجام الصّوتي لهذه المفردة، ولا شكّ أنّ له دور كبير في عملية التّأثير على المتلقي ولفت انتباهه.

أمّا الرّافعي، فقد بيّن أنّ هذه الآية جاءت «في سياق الإنكار على العرب المشركين، وكان الكلام قبلها عن قسمة المشركين الأولاد، حيث جعلوا الملائكة بناتا، وجعلوا البنات لله، بينما اختصّوا هم بالذّكور، فأنكر الله عليهم هذه القسمة الجائرة»[44]. ممّا يعني أنّ لفظ «ضيزى بإيقاعه، وجرسه، ومعناه الغريب، واجتماع حروفه، يصوّر الإنكار في الآيات، إنكار القسمة الظالمة، التي جعل المشركون فيها البنات لله، والذّكور لهم»[45]، وهي من دون شكّ قسمة ظالمة وجائرة حتى وإن كانت بين مخلوقين، فكيف وهم يتقاسمونها مع الله عزّ وجلّ.

إن اختيار القرآن الكريم لهذه المفردة دون غيرها من المفردات التي قد تبدو مرادفة لها جعل الخطاب أكثر إقناعا وتأثيرا، وذلك بفضل ما تمتلكه هذه المفردة من شحنات حجاجيّةثاوية في نفسها، بالإضافة إلى أنّ «السّياق الذي ورد فيه اللّفظ سياق غرابة موضوعيّة وإنكار معنوي، فناسب هذا الإتيان بلفظ غريب في معناه، وغريب في إيقاعه، وجرسه، وحروفه ، وهذه دقّة مُعجِزَة في اختيار لفظ "ضيزى"، وإيثاره على لفظ آخر»[46].

وهكذا، فاستخدام القرآن الكريم لهذه المفردة دون غيرها أسهم بشكل كبير في إكساب الخطاب طاقة حجاجيّة عالية، مكّنته من تحقيق الغاية المقصودة، الشّيء الذي ما كان أن يتحقّق لو حلّت أو استبدلت مكانها أيّ لفظة أخرى.

رابعا: حجاجيّة المفردة القرآنيّة على أساس العُدول:

1. مفهوم العُدول لغة:

جاء في معجم لسان العرب: «عدل عن الشّيء يعدل عدْلا وعدولا: حاد، وعن الطّريق: جار، وعدل إليه عُدولاً: رجع، وعدل الطّريق: مال»[47].

وهكذا، فالعدول في اللّغة يعني الميل والانحراف عن الشّيء إلى غيره.

2. العدُول اصطلاحا:

أشرنا في تعريفنا للاختيار أنّه نوع من العدول، أو هو عدول عن المستوى العادي إلى المستوى الفني من الكلام، «والحقيقة أنّ النّظرة إلى العدول على أنّه عدول عن المستوى النّمطي إلى المستوى الفني، نظرة لا تكاد تفرّق بينه وبين الاختيار، وإن كان يشترك مع الاختيار في كونه انتقاء للّفظ وإيثارا له على غيره، هذا العُدول هو ما كان يمثّل نوعا من العدول عن النّظام أو الأصل اللّغوي، أو نوعا من العدول عن سياق النّص، وهو ما عرف في التّراث اللّغوي والبلاغي بالمجاز»[48].

وهكذا أمكن القول: إنّ العُدُول هو كسر النّظام اللّغوي، أوخروج عن القاعدة النّحويّة لغرض ما.

وقد استخدم هذا المصطلح في الدّراسات الحديثة بتسميات عديدة منها: الانحراف، الانزياح، التّجاوز، التّحريف، خرق السّنن...[49] إلاّ أنّنا آثرنا مصطلح "العُدول"، لأنّه الشّائع والمستعمل في تراثنا البلاغي.

ومن المفردات التي وظّفها القرآن الكريم توظيفا حجاجيّا على أساس العُدول نذكر:

أ. العُدول عن لفظ مُرْضع إلى مُرْضعة:

قال تعالى:﴿ يَا أَيّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَة شَيءٌ عَظيمٌ، يَومَ تَرَوْهَا تَذْهلُ كلُّ مُرْضعَة عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَات حَمْل حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَاهُمْ بسُكَارَى ولَكنَّ عَذَابَ الله شَديدٌ﴾. (سورة الحج، الآية: 1،2).

تشير هتين الآيتين إلى «يوم البعث ومقدّماته، وهما آيتان تبعدان الإنسان — دون إرادته– عن هذه الحياة الماديّة العابرة، ليفكّر في المستقبل المخيف الذي ينتظره، هذا المستقبل الذي سيكون جميلا وسعيدا إن فكّرت فيه اليوم، ولكنّه مخيف حقا إن لم تعدّ العدّة له»[50].

فالله سبحانه وتعالى يتوجه بهذا الخطاب للنّاس كافة، في كلّ زمان ومكان، مؤمنهم وكافرهم، وذلك من أجل تحذيرهم وترهيبهم من هذا اليوم العظيم والمهول، وهو يوم البعث.

والمتمعّن في هتين الآيتين يجد أنّهما تتوفران على طاقة حجاجيّة عالية، وذلك لما تحملاه من معان عميقة، ودلالات موحية ومعبّرة، أسهمت بشكل كبير في إبراز الغرض المقصود من الخطاب.

ولعلّ أهم ما يستوقفنا هنا هو استخدام القرآن الكريم للفظ "مرضعة"، هذا اللّفظ الذي قد يبدو للوهلة الأولى غريبا نوعا ما، إذ «الأصل في لغة العرب أنّ لفظ (مرضع) – دون تاء– وصف خاص بالمرأة، ولا يكون هذا اللّفظ للرّجل، ولهذا لا تدخل التاء عليها، إذ الأمور الخاصّة بالمرأة لا تدخلها التاء، فلا يقال رجل مرضع وامرأة مرضعة، وإنّما يقال امرأة مرضع فقط»[51]. مما يعني أنّ هناك كسر للقاعدة النّحويّة.

ومما لا شكّ فيه أنّ عُدول القرآن الكريم عن استعمال اللّفظ الأصلي "مُرضع"، إلى "مُرضعة" جاء لخدمة غرض حجاجي، مفاده إقناع المتلقي أو حمله على الإقتناع بعظمة وهول يوم القيامة، كيف لا وقد وصفه الله سبحانه وتعالى بأنّه يوم "تذهل فيه كلّ مرضعة عما أرضعت أيّ؛ «فتشغل لهول ما ترى عن

أحبّ النّاس إليها، والتي هي أشفق النّاس عليه، تدهش عنه في حال إرضاعها له، لهذا قال: "كلّ مرضعة" ولم يقل "كلّ مرضع"، وقال عمّا أرضعت أي؛ عن رضيعها قبل فطامه»[52].

وهكذا يتضح أنّ هناك فرقا دقيقا بين مفردتي "مرضع"، ومرضعة، «فمرضع – دون تاء– هي المرأة التي من شأنها أن ترضع، أو من لها ولد ترضعه وإن لم تكن في ذلك الوقت مرضعة، لكن مرضعة – بالتاء– هي التي تلقم الثّدي فم الطّفل وتزاول هذا العمل فعلا، ولا شكّ أنّ الذّهول في مرضعة يكون أخوف وأفزع، فلا تذهل المرضعة عن طفلها والثّدي في فمه إلاّ للهول الذي لا يدع بقيّة من الوعي»[53].

ولو أنّ التّعبير القرآني جاء بلفظ "مرضع"، لما أحدث ما أحدثته مفردة "مرضعة" من مشاعر الخوف والفزع في نفس المتلقين، بحيث جعلتهم يقتنعون بعظمة هذا اليوم.

وهكذا، فقد جاء لفظ "مرضعة" في هذا السّياق محمّلا بشحنات حجاجيّة، أسهمت في إلزام المتلقي على الإقتناع التّام بشدّة هول هذا اليوم وعظمته.

ب. العُدُول عن الافتراس إلى الأَكْل:

قال تعالى: ﴿وَجَاءُوا أَبَاهمْ عشَاءً يَبْكُونَ، قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذّيبُ وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِن لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادقِينَ﴾. (سورة يوسف، الآية:16-17).

تتحدث هتين الآيتين عن المكيدة التي صنعها أبناء يعقوب بأخيهم يوسف، حيث أرادوا أن ينالوا ويتخلّصوا منه، والسّبب أنّهم كانوا يعتقدون أنّ أباهم يعقوب (عليه الصّلاة والسّلام) كان يحبّه أكثر منهم، ولهذا سوّلت لهم أنفسهم أن يلقوه في غيابات الجبّ، وقد حاولوا أن يأتوا بحجّة مقنعة تبرّر سبب اختفاء أخيهم، وعدم عودته معهم، ولهذا نجدهم قد زعموا أنّ الذّئب هو من أكله.

«لقد كان كلام اخوة يوسف مدروسا بشكل دقيق، وذلك – أوّلا– لأنّهم خاطبوا يعقوب بقولهم "يا أبانا" وفيها ما فيها من الاستعطاف»[54]. أمّا الشّيء الثّاني والذي يمكن أن نعتبره بؤرة الحجاج في هذه الآية فيكمن في استخدام لفظ "الأكل" بدل "الافتراس"، على أساس أنّ فعل الافتراس هو الأنسب للذّئب من فعل الأكل.

ولا شكّ في أنّ عُدول القرآن الكريم إلى هذا اللّفظ في هذا المقام له ما يبرّره، ذلك أنّ القرآن الكريم لا يعدل عن لفظ إلى لفظ آخر إلاّ لغرض ما، أو لبلوغ غاية ما.

وقد جاء العُدول هنا لخدمة غرض حجاجي مفاده: محاولة إخوة يوسف إقناع أبيهم إقناعا تاما بأنّ الذّئب قد قضى على يوسف ولم يترك أيّ أثر له، وهذا طبعا لا يتحقق باستخدام لفظ "الافتراس"؛ ذلك

أنّ أصل الفرس في اللّغة هو دقّ العنق، ومعناه القتل فحسب، أمّا إخوة يوسف فقد ادّعوا بأنّ الذّئب أكله كلّه، ولم يترك أيّ عضو من أعضائه، وبهذا يكون الأكل في هذا السّياق أنسب من الافتراس؛ لأنّ الأكل معناه الإتيان على جميع أعضاء الفريسة، وعدم ترك أيّ عضو من أعضائها، ولو أنّ إخوة يوسف قالوا لأبيهم "افترسه"، بدلا من "أكله" لطالبهم ببقيّة أعضائه[55].

وهكذا، فاستعمال لفظ "الأكل" في هذا المقام أسهم بشكل كبير في تدعيم النّص بطاقة حجاجيّة عالية، مكّنته من إيصال الغرض المطلوب، وأفحمت المتلقي على أن يبدي سؤالا ما.

ج. العُدول باستعمال المجاز المرسل:

قال تعالى: ﴿ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾. (سورة يوسف، الآية:82).

إنّ الخطاب في هذه الآية قائم بين أبناء يعقوب وأبيهم (عليه الصّلاة والسّلام)، حيث يحاول الأبناء في هذه الآية تبرير موقف عدم عودة أخيهم معهم، بعدما عاهدوا أباهم بأنّهم لن يفرّطوا فيه مهما حدث.

وتكمن بؤرة الحجاج في هذه الآية الكريمة في استخدام مفردة "القرية"، هذه المفردة التي وظّفت في هذا المقام توظيفا مجازيا على أساس "المجاز المرسل"، والمقصود هنا "أهل القرية".

وقد عدل القرآن الكريم إلى استخدام هذا اللّفظ لما له من أبعاد حجاجيّة، تكمن في محاولة إخوة يوسف «أن يزيلوا الشّك والرّيبة عن قلب أبيهم»[56]، وإقناعه إقناعا تاما بصدق ما يقولون، ولهذا جاء التّعبير بقولهم "اسأل القرية"، «كناية عن أنّ القضيّة شاعت بحيث علم بها حتى أراضي مصر وحيطانها»[57].

ونشير في هذا السّياق إلى أنّ هناك من فسّر هذا القول على الحقيقة فقيل: «إنّه ليس في الكلام حذف؛ لأنّ يعقوب (عليه الصّلاة والسّلام) نبيّ صاحب معجزة، يجوز أن تكلّمه القرية والعير على وجه خرق العادة، وإنّما قالوا ذلك لأنّهم أهل تهمة عند يعقوب»[58] ممّا يستدعي الشّك والرّيبة فيهم.

وقد أدى أسلوب المجاز المرسل في هذه الآية «وظيفة حجاجيّة توجيهيّة صارمة، كامنة في محاولة تبليغ صدقهم، وإبعاد أدنى شك فيهم»[59]على أساس أنّ «الأقوال المجازيّة تأتي في مرتبة أعلى من حيث قدرتها الإقناعيّة»[60].

وهكذا فاستخدام القرآن الكريم لهذا اللّفظ في هذا المقام كان أضمن لنجاح العملية الحجاجيّة، بحيث أسهم بشكل كبير في زيادة درجة الإقناع والتّأثير، ولو أنّهم قالوا "اسأل أهل القرية"، لما استطاعوا أن يحقّقوا ما حقّقته مفردة "القرية" لوحدها من تبليغ وإقناع.

د. العُدُول عن لفظ العُموم إلى لفظ الخُصوص:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾، (سورة الأحزاب، الآية:01).

إنّ الله سبحانه وتعالى في هذه الآية الكريمة يتوجّه بخطابه إلى الرّسول (ﷺ)، ويدعوه إلى التّقوى، وعدم طاعة الكفار والمشركين.

وتكمن بؤرة الحجاج في هذه الآية في استعمال القرآن الكريم لفظ "النّبي"، هذا اللّفظ الذي يحمل من الشّحنات الحجاجيّة ما جعله يساهم بشكل كبير في تحقيق الغرض المقصود من الخطاب؛ فالله سبحانه وتعالى عدل عن الخطاب بلفظ الجمع كأن يقول "يا أيّها النّاس"، أو "يا أيّها الذين آمنوا"، إلى الخطاب بلفظ المفرد، وهو "النّبيّ" (صلى الله عليه وسلّم)، «وما يؤكّد صحة هذا الأمر هو مجيء الخطاب بأداة النّداء "يا أيها" بدل "يا" حيث ذهب بعض المفسرين إلى أنّ "الخطاب بـ "يا أيّها" خاص بالموارد التي يراد منها جلب انتباه العموم لمطلب ما، وإن كان المخاطَب واحدا، بخلاف الخطاب بـ "يا"، والذي يستعمل في الموارد التي يراد منها شخص المخاطَب، ولما كانت هذه الآيات قد بدأت بـ "يا أيّها"، فإنّها تؤكّد كون الهدف من هذه الآيات هو العموم»[61].

وهكذا، يتّضح أنّ الخطاب في هذه الآية الكريمة موجّه إلى النّاس أجمعين، «والشّاهد الآخر للتّعميم، هو أنّ الجملة: {إنّ الله بما تعملون خبيرا}، قد وردت بصيغة الجمع، وإذا كان المخاطَب هو النّبيّ (صلى الله عيه وسلّم)، فينبغي أن تقول الآية: {إنّ الله كان بما تعمل خبيرا}»[62].

وطبعا فإنّ العُدول في هذا المقام جاء لتحقيق غرض مقصود، وهو «تنبيه بالأعلى على الأدنى، فإنّه تعالى إذا كان يأمر عبده ورسوله بهذا؛ فلأن يأتمر من دونه بذلك، بطريق الأولى والأحرى»[63].

وهكذا، فمجيء الخطاب بلفظ المفرد، وتوجّهه إلى النّبي (صلى الله عليه وسلّم) بوجه الخصوص، ساهم بشكل كبير في إكساب الخطاب طاقة حجاجيّة عالية، مكّنته من إقناع المتلقي (عبر كلّ زمان ومكان)، بتقوى الله وعدم طاعة الكفّار والمشركين.

خاتمة:

حاولنا من خلال هذا المقال رصد المفردة القرآنيّة انطلاقا من "النّظرية الحجاجيّة الحديثة"، وذلك من أجل الوقوف على أسرارها التّعبيريّة، وقدرتها الإقناعيّة والتّوجيهيّة، وقدتوصّلنا إلى مجموعة من النّتائج، نوجزها فيما يأتي:

- إنّ المفردة بصفة عامّة، والمفردة القرآنيّة بصفة خاصّة، تحتوي على خصائص في ذاتها، وأخرى تستمدها من الاستعمال، تجعلها مؤهلة لتكون ذات طبيعة حجاجيّة بامتياز.
- إنّ اختيار القرآن الكريم لمفردة دون غيرها اختيار مقصود، يهدف من ورائه تحقيق مزيد من التّأثير في ذهن المتلقين.
- إنّ وضع مفردة مكان أخرى قد تبدو مرادفة لها قد يؤدي إلى تغيّر في المعنى وربما فساده، ومن ثمّ لابد من مراعاة الفروق الدّقيقة بين المفردات حتى لا تظلّ المعاني، ويتحقّق المقصود.
- لقد جاءت مفردات القرآن الكريم متلائمة ومنسجمة مع السّياق الذي وردت فيه، الشّيء الذي أكسبها بعدا حجاجيّا وجعلها أكثر إقناعا وتأثيرا.
- لقد تمّ توظيف المفردات القرآنيّة توظيفا حجاجيّا على أساس الاختيار تارة، والعدول تارة أخرى، وذلك تبعا لما يمليه السّياق.
- لا يمكن القول بالتّرادف في القرآن الكريم؛ ذلك أنّ لكلّ مفردة طاقة إيحائيّة تعزّز حضورها في موقع معيّن بحيث يستحيل لأيّ لفظ آخر أن يحلّ محلّها، أو يؤدي نفس وظيفتها.

وصفوة القول، إنّ مفردات القرآن الكريم هي مفردات حجاجيّة بالدّرجة الأولى؛لأنّها تهدف بوجه أو بآخر إلى التّأثير في المتلقي وحمله على الإقتناع بما يعرض عليه، أو الزّيادة في درجة ذلك الإقتناع،الشّيء الذييدفعه إلى تبني رأي ما، أو تركه أو تغيير موقفه تجاهه...، وهو ما يؤكّده اختيار القرآن الكريم لمفردة دون أخرى، أو عُدوله عن مفردة إلى أخرى.

هوامش:

[1]- الشريف الجرجاني: معجم التّعريفات قاموس لمصطلحات وتعريفات علم الفقه والفلسفة والمنطق والتّصوّف والنّحو والصّرف والعروض والبلاغة، تحقيق ودراسة: محمّد صدّيق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، 2004م،ص78.

[2]- جمال الدّين ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، المجلّد الثاني، مادة(حجج)، ص228.

[3]- المصدر نفسه، ص228.

[4]- طه عبد الرّحمان: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثّقافي العربي، ط2، الرّباط، المغرب، 2000م، ص65.

[5]- ينظر: طه عبد الرحمان: اللّسان والميزان أو التّكوثر العقلي، المركز الثّقافي العربي،ط1، المغرب، 1998م، ص226.

[6]- عبد الله صولة: الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبيّة، دار الفرابي، ط2، بيروت،لبنان، ص33.

[7]- أبو بكر العزاوي: اللّغة والحجاج، الدّار البيضاء، ط1، 2006، ص18.

[8]- كمال الزّماني: حجاجيّة الصّورة في الخطابة السّياسيّة لدى الإمام علي ﷺ، عالم الكتب الحديث، ط1،ربد، الأردن، 2012،ص118.

[9]- المرجع نفسه، ص118

[10]- ينظر: عمر بوقمرة: الأفق الحجاجي في نظريّة النّظم لعبد القاهر الجرجاني، عالم الكتب الحديث، ط1،إربد، الأردن،2017 ، ص98.

[11]- ينظر: جميل عبد الحميد: البلاغة والاتّصال، دار غريب للطّباعة والنّشر والتّوزيع، القاهرة،2000م،ص106.

[12]- الحسين بنو الهاشم: بلاغة الحجاج الأصول اليونانيّة، تقديم: محمّد العمري، دار الكتاب الجديدة المتّحدة، ط1، بيروت، لبنان،2014م، ص303.

[13]- جمال الدّين بن منظور: لسان العرب، المجلّد الثالث،مصدر سابق،ص331.

[14]- أبو يعقوب السّكاكي: مفتاح العلوم، ضبطه وكتب هوامشه وعلّق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلميّة،ط1، بيروت، لبنان، 1407هـ، 1987م، ص09.

[15]- أحمد ياسوف: جماليّة المفردة القرآنيّة، إشراف وتقديم: نور الدّين عتر، دار المكتبي،ط2، سوريّة، دمشق، 1419هـ، 1999م، ص20.

[16]- تمّام حسّان: مناهج البحث في اللّغة، مكتبة الأنجلو المصريّة، القاهرة، 1990م،ص232.

[17]- عبد الله صولة: الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبيّة، ، ص68.

[18]- أحمد قادم: بلاغة الحجاج بين التّخييل والتّدليل،عالم الكتب الحديث،ط1، إربد، الأردن، 2019م، ص183.

[19]- حسين جمعة: في جماليّة الكلمة (دراسة بلاغيّة نقديّة)، دار رسلان، سوريا، دمشق، 2011م، ص54.

[20]- عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز في علم المعاني، شرحه وعلّق عليه: مُحَمَّد التّنوجي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 2005م، ص74.

[21]- حسين جمعة: في جماليّة الكلمة (دراسة بلاغيّة نقديّة)، مرجع سابق، ص54.

[22]- ينظر: عبد الله صولة: الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال مصنّف في الحجاج ـ الخطابة الجديدة ـ لبرلمان وتيتيكا، (مقال) ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التّقاليد الغربيّة من أرسطو إلى اليوم، من إصدار فريق البحث في البلاغة والحجاج، إشراف حمادي صمود، كلية الآداب منوبة، تونس ، ص 319.

[23]– سامية الدريدي: الحجاج في الشّعر العربي بنيته وأساليبه، عالم الكتب الحديث، ط2،إربد، الأردن،1432هـ،2011م، ص102.

[24]– ينظر: عبد الحميد أحمد يوسف الهنداوي: الإعجاز الصّرفي في القرآن الكريم دراسة نظريّة تطبيقيّة، التّوظيف البلاغي لصيغة الكلمة، المكتبة العصريّة للطباعة والنّشر، ط1،بيروت، 1422هـ،2001م،ص67.

[25]– المرجعنفسه، ص67.

[26]– المرجع نفسه،ص141.

[27]– المرجع نفسه،ص141.

[28]– القاضي أبي بكر الباقلاني: إعجاز القرآن، حقّقها وفهرسها وعلّق عليها: أبو بكر عبد الرّزاق، مكتبة مصر، ص143.

[29]– عبد الفتاح لاشين: صفاء الكلمة، دار المريخ للنّشر، الرّياض، 1430هـ،1983م، ص08.

[30]– عبد الله صولة: الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبيّة، مرجع سابق، ص73،74.

[31]– سامية الدريدي: الحجاج في الشّعر العربي بنيته وأساليبه، مرجع سابق، ص 41.

[32]– ابن كثير الدّمشقي: تفسير ابن كثير المسمى تفسير القرآن العظيم، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط4، 1438 هـ، 2017م، المجلّد الأوّل، ص330.

[33]– المصدرنفسه، ص330.

[34]– ناصر مكارم الشّيرازي: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزّل، مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات، ط1،بيروت، لبنان، 1434هـ، 2013م، المجلد الأوّل، ص156.

[35]– المصدر نفسه، ص156،157.

[36]– آمال يوسف المغامسي: الحجاج في الحديث النّبوي –دراسة تداوليّة–، الدّار المتوسطيّة للنّشر، ط1، 2016م، 1437هـ، ص187.

[37]– المرجع نفسه، ص 184.

[38]– أحمد أحمد بدوي: من بلاغة القرآن، نهضة مصر للطّباعة والنّشر، 2005م، ص52.

[39]– صلاح عبد الفتاح الخالدي: إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرّباني، ط1، دار عمّار، عمّان، 1421هـ، 2000م، ص226.

[40]– ناصر مكارم الشّيرازي: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزّل، المجلد 13، مصدر سابق، ص284.

[41]– صلاح عبد الفتّاح الخالدي: إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرّباني، مرجع سابق، ص130.

[42]– عماد الدّين بن كثير الدّمشقي: تفسير بن كثير المسمّى تفسير القرآن العظيم، المجلد الرّابع، مصدر سابق، ص2018.

[43]– صلاح عبد الفتّاح الخالدي: إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرّباني، مرجع سابق، ص131.

[44]– المرجعنفسه، ص131.

[45]– المرجع نفسه، ص132.

[46]– المرجع نفسه، ص132.

[47]– جمال الدّين بن منظور: لسان العرب، المجلد 11، مصدر سابق، ص434.

[48]– عبد الحميد أحمد يوسف هنداوي: الإعجاز الصّرفي في القرآن الكريم، مرجع سابق، ص141.

[49]– ينظر: المرجع نفسه ، ص142.

[50]– ناصر مكارم الشّيرازي: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزّل، المجلّد الثامن، مصدر سابق، ص300.

[51]– عبد الفتاح لاشين: صفاء الكلمة، مرجع سابق، ص77.

[52]– عماد الدّين بن كثير الدّمشقي: تفسير ابن كثير المسمّى تفسير القرآن العظيم، المجلّد الثّالث، مصدر سابق، ص187.

[53]– عبد الفتاح لاشين: صفاء الكلمة، مرجع سابق، ص78.

[54]– ناصر مكارم الشّيرازي: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزّل، المجلّد الخامس، مصدر سابق، ص216.

[55]– ينظر: أبو سليمان الخطّابي: بيان إعجاز القرآن (ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن في الدّراسات القرآنيّة والنّقد الأدبي)، حقّقها وعلّق عليها: محمّد خلف الله أحمد ومحمّد زغلوم سلام، دار المعارف، ط3، مصر، 1979م، ص41.

[56]– ناصر مكارم الشيرازي: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزّل، المجلّد السّادس، مصدر سابق، ص302.

[57]– المصدر نفسه، ص303.

[58]– الفضل بن الحسن: مجمّع البيان في تفسير القرآن، دار المرتضى، ط1، بيروت، لبنان، 1427هـ،2006م، ج5،ص343.

[59]– سالمة الرّاجي: حجاجيّة المجاز المرسل في القرآن الكريم، (مقال) ضمن كتاب: التّحليل الحجاجي للخطاب (بحوث محكّمة)، تأليف مجموعة باحثين، إشراف وتقديم: أحمد قادم وسعيد العوادي، دار كنوز المعرفة للنّشر والتّوزيع، ط1، عمّان، 2016م، 1437هـ، ص165.

[60]– سامية الدريدي الحُسني: دراسات في "الحجاج" قراءة لنصوص مختارة من الأدب العربي القديم، ط1، عالم الكتب الحديث، إربد، 1430هـ،2009م، ص103.

[61]– ناصر مكارم الشّيرازي: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزّل، المجلّد العاشر، مصدر سابق، ص286.

[62]– المصدر نفسه، ص286.

[63]– عماد الدّين ابن كثير الدّمشقي: تفسير بن كثير المسمّى تفسير القرآن العظيم، المجلّد الثّالث، مصدر سابق، ص416.